

تشويحات في اللغة العربية أحدثها الترجمة

الدكتور محمد عبد الرحمن مرعيا

فالعربية السليمة تقضي ان يقال : « ثار على العباسيين » . « شن حرب ابادة على » . « مؤامرة على » . « احتجاج على » . « العداء للاستعمار » . « الكفاح مع الاستعمار » . « معركة مع الرجعية » . « التلقيح من الجدري » . « التامين من المرض » . « مناعة على » . « صدر حكم بحق او على فلان » . « مقاومة المرض » . « مقاومتهم للمرض » . « الشكوى من الظلم والتصف » . « استند الى الحائط » . . . الخ

ومن الرطانات التي جاءت بها الترجمة ايضا قول بعضهم « يشكل تهديدا للسلام » « يشكل تقديما عظيما » . « يشكل عنصرا هاما » ، « يؤلف مشكلة خطيرة » . الخ . مع ان الاصح ان يقال : « فيه تهديد للسلام » . « فيه تقدم عظيم » ، « وهو عنصر هام » ، « وهي مشكلة خطيرة » .

وهناك استعمال شائع جدا لا ارتاح اليه تسلسل الى لغتنا الحبيبة بتأثر الترجمة ايضا وهو : « لعب دورا هاما في » .

ان اللغة العربية في غنى عن هذا الاستعمال الركيك ولو ان جميع اللغات الاوربية تستعمله ، ففيها عبارات كثيرة تؤدي نفس المعنى بمثانة وقوة وجزالة ، ليست للمعبرة الفرنسية . منها ان يقال : « كان له شأن عظيم » « اضطلع بنصيب كبير في » « اضطلع بمهمة » « قام بـ » .

ان الترجمة الصحيحة عمل شاق لا يعرفه الا من عاينه ، وقليل ما هم ! واكثر الترجمات التي تخرج الى الاسواق ترجمات رخيصة تشف عن ضلالة اصحابها وفقرهم وعجزهم عن فهم ما يترجمون : فحسبهم انهم ترجموا الالفاظ كلمة كلمة . اما المعنى العام للنص فلا يهمهم في قليل او كثير .

وقد تأثرت اللغة العربية بكثير من هذه الترجمات فركت وضعفت وغلبت عليها استعمالات تشعر وانت تقراها بالبعد عن الاسلوب العربي الرصين اذ ليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف . وها نحن نورد نماذج منها تقتطفها من هنا وهناك .

« ثار ضد العباسيين » ، « شن حرب ابادة ضد » ، « مؤامرة ضد » ، « غارة ضد » ، « العداء ضد الاستعمار » . « معركة ضد الرجعية » ، « التلقيح ضد » ، « التامين ضد » ، « مناعة ضد » ، « المقاومة ضد المرض » ، « صدر حكم ضد » ، « الشكوى ضد » ، « استند ضد الحائط » .

لكلمة « ضد » هنا لا مبرر لها الا انها ترجمة حرفية لكلمة Contre الفرنسية او Against الانكليزية ، فاذا كانت كلمة « ضد » ترافق جميع هذه العبارات في الفرنسية او الانكليزية او غيرها من اللغات الاوربية ، فلا يصح ان يكون ذلك سببا لاستعمالها في اللغة العربية ايضا ، لاسيما اذا كان هنالك بديل عربي اقوى منها بكثير .

الإنسان « مع ان المبتدئ في اللغة العربية يقول : « محبة الله لبني الإنسان » . فإذا كانت « نحو » جزءا من التعبير الفرنسي أو الإنكليزي فهل من الضروري ان تكون كذلك في اللغة العربية ؟ ولكن قاتل الله الترجمة الحرفية التي تعني من خصائص اللغة ومبقرتها !

لقد خف استعمال المفعول المطلق في الترجمة وحلت محله - حرصا على « امانة » النقل كلمة « بصورة » . « بشكل » : « لدرجة » . « على نحو » فيقال مثلا : « مشيت بصورة جيدة » ، « سار بشكل حسن » . « ان قامته طويلة لدرجة انها تسد الباب » ظهر على نحو واضح . ان هذه الاستعمالات واشباهها تنبؤ جميعا عن الذوق العربي الاصيل وتجفوه . اذ الاصح ان يقال : « مشيت مشيا جيدا » « سار سيرا حسنا » . « ان قامته طويلة طولا يسد الباب او بحيث تسد الباب » . « ظهر ظهورا واضحا » .

وهناك خطأ يقع فيه كثير من المترجمين ايضا . وهو خطأ لا يمس الترجمة وحدها . بل هو يمس قواعد اللغة ايضا . وهو التعبير عن المثنى بالجمع انسياقا مع الحرفية . فنرى المترجم يعبّر عن المثنى ثارة بالثنائية . وثارة يسي ان الحديث يدور عن شيئين فقط فينساق مع النقص الفرنسي ويجمع . لانه على ما يظهر في مجلة من امره وبهمه ان يفرغ منه ليستأنف نعا آخر . فالمعصر عصر السرعة والنقص طويل والضمير بعيد ، فلا عليه ان يلتزم بالحرفية ولو كان في ذلك تضحية باللغة وقواعده وبسمته وكرامته لعرض من الدنيا قليل .

وهناك استعمال عجيب غريب اقبح في العربية اقحاما . فاللغة الفرنسية مثلا تستعمل عند الانتقال من فكرة الى اخرى كلمة Concernant او En ce qui concerne او Au sujet de الخ . فامتلات اللغة العربية بهذه الكلمات : بخصوص . وفيما يتصل ، وفيما يتعلق ، وبالنسبة الى . مع ان كلمة « اما » « ومن حيث » اجمل من هذه الاستعمالات الركيكة واقل وأكثر تعبيرا ومناة . ولم اجد اعجب من الجمع بين « اما » و « فيما يتعلق » كالقول : « اما فيما يتعلق بكذا » فان « فيما يتعلق » هنا متحمة اقحاما لا معنى له وما كان اجمل هذا التعبير لو قلنا : « اما كذا »

ومن الاستعمالات الرطنة ايضا هذه العبارة : « كانت هذه الحرب كنتيجة لاغتسال .. » فانا لا ارى ترجمة لهذا الكاف لولا انها ترجمة حرفية لكلمتي Comme الفرنسية او As الإنكليزية الضروريين لتأدية هذا المعنى في اغنيهما فقط . كما ان هذه الكاف الركيكة اخذت تحمل في لغتنا محل استعمال الحال والمفعول به الثاني والمفعول لاجله . . اقرا هذه العبارات : « ما احسنه كمتكلم » . « ما احسنه ككتاب » : « دخل عليهم كرئيس للبلاد » . « فعل هذا كمنافاة له » : « قال كتمليق على كلامه » . « اعتبر العربية كلفة اساسية » : « عامله كحيوان » . والاصح ان يقال : « ما احسنه متكلم ! » ، « ما احسنه كتابا ! » ، « دخل عليهم رئيسا للبلاد » . « فعل هذا منافاة له » : « قال تعليقا على كلامه » . « اعتبرها لغة اساسية » : « عامله معاملة الحيوان » .

ومن خصائص اللغة العربية ان يأتي جواب « اذا » في الزمان الماضي ، الا في حالات نادرة قليلة . فيقال مثلا : « اذا جاء زيد جاء عمرو » . « اذا امتزج بكذا وكذا حدث كذا » لكن لا يقال : « ... يحدث كذا » . او « يجري عمرو » . غير اني لاحظت مع الاسف ان هذا الاستعمال الماضي الجميل المناسب لم يعد له وجود تقريبا عند طائفة المترجمين ، لا لشيء الا لان الماضي لا يستعمل في جواب « اذا » في اللغات الاوروبية التي يترجم منها .

كذلك نشأ في اللغة العربية استعمال رطن خلفته الترجمة وهو تأخير الفاعل وتقديم ضميره عليه مثل ان يقال : « وفي حديثه من كذا وكذا قال الرئيس كذا » ، « وبعد وصوله الى المدينة استقبل القائد وفود المهنيين » والاصح ان يقال : « والرئيس في حديثه من كذا وكذا قال كذا » ، « وبعد وصول القائد الى المدينة استقبل وفود المهنيين » .

وهناك ايضا استعمال شاع بتأثير الترجمة ايضا وهو اضافة اكثر من مضاف الى مضاف اليه واحد . مثلا « عنابة واهتمام الام بطفلها » « ذكاء ومقدرة رجل العلم » والاصح ان يقال : « وعنابة الام بابنها واهتمامها به » « ذكاء رجل العلم ومقدرته » .

وكذلك وردت في احدى الترجمات هذه العبارة التي تمكس شدة العرص على الترجمة الحرفية والتقيد المستكره بالاصل : « محبة الله نحو بني

اصول لاتينية ويونانية : أي الى اصول تشابه فيها لغة التعبير واللفظ والكتابة لوجود لحة من النسب او لوجود وحدة عضوية بينها - اذ هي من ارومة واحدة : فكل ذلك اتسامل بيني وبين نفسي مما اذا كان يمكننا ان نفعل شيئا قريبا من هذا باللغة العربية. فهناك وحدة عضوية بين اللغة العربية وبين كثير من اللغات التي تسمى باللغات السامية . فما المانع ان نرجع اليها في وضع مصطلحاتنا ، ولا ضير في ذلك على اللغة العربية في شيء . بل هو مصدر اغناء لها ، كما ان الرجوع الى اللاتينية واليونانية لم يكن ليضير اللغات الاوربية في شيء بل لقد كان مصدر اغناء لها. وحذا لو كنت محبطا ببعض اللغات السامية لاحكم على مدى قابلية اقتراحي للتطبيق . ولكنني وطبعت الامل ان يصل هذا الاقتراح الى آذان الخبراء بالساميات ليبينوا لنا مدى امكان الاستفادة منه . وعندئذ لا يقال ان لغة الضاد رديئة جدا من حيث التركيب المزجي .

واخيرا لي ماخذ على بعض الترجمات - حتى القيمة منها - وهو خلوها من ذكر المصطلحات العلمية واسماء الاعلام وعناوين الكتب في لغاتها الاصلية . فانا من حيث البدا افضل دائما ان اقرا الكتاب في لغته الاصلية لاني لا اتق بكثير من الترجمات . فغلا عن اني اشعر بغربة كبيرة وانا اقرا كتابا مترجما الى العربية . وكثيرا ما لا افهم ما اقرا ولا عمن اقرا . فالترجم حفظه الله كلما وجد مصطلحا علميا ترجمه بما يتراءى له او اثبت اسم صاحبه كما يريد ، وهذا من حقّه . الا ان من حق القاريء عليه ان يثبت له المصطلح بلغته الاصلية وكذلك ان يثبت له اسماء الاعلام الى جانب النص العربي ، ليسهل عليه فهم الموضوع . والا ضاعت الفائدة المتوخاة من ترجمة الكتاب . فان كان القاريء خالي الذهن من الموضوع لم يفهم شيئا بطبعة الحال . وان كان ملما به اصطدم بمصطلحات غير واضحة المعنى فاختلف فهمه للموضوع ولعن الترجمة والمترجمين .

والخلاصة ان الترجمة عمل مضمّن . فلا يقدم عليه من ليس اهلا له . فاما الزيد فيذهب جفاء . واما ما ينفع الناس فيمكن في الارض .

نحن لا ننادي بعدم الاستئناس بالاساليب الغربية ، ولكننا نطالب بالحفاظ على خصائص اللغة العربية . فكل هذه الاستعمالات بجانب الدوق العربي والسليقة العربية والاصالة العربية ، ولقد شاعت في الصحف اولا حيث تترجم برقيات وكالات الانباء حرفيا طلبا للسرعة ورددها محطات الاذاعة والتلفزيون . ثم عمت في الترجمات الرخيصة التي اقتدت بها . فليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف . ولكنها غريبة الدم والخبر . ان هذه الاستعمالات لا تصدر ولن تصدر عن كاتب عظيم . بل هي لا تصدر الا عن صغار الكتاب والمترجمين . فلم اجد للمازني او العقاد او طه حسين وامثالهم استعمالات ركيكة كهذه . رغم انهم اغتوا الاسلوب العربي كثيرا بالاستعمالات الجديدة دون ان يضحوا بمبقرته واصالته .

ولي ملاحظة احب ان ابديها في هذه المناسبة تتصل بتركيب المصطلح العلمي . فمن المعروف ان اللغة العربية فقيرة جدا في التركيب المزجي . فبينما يستطيع المؤلف في اللغات الاوربية تركيب اي مصطلح بالرجوع الى اصول اليونانية واللاتينية بمزج الجذور التي يصل اليها بعضها مع بعض نجد اللغة العربية عاجزة عن ذلك عجزا يكاد يكون تاما . فنرى المؤلف في اللغة العربية اذا اراد التعبير عن مصطلح غربي ما . اما ان يبحث كلمة جديدة قد لا تؤدي المعنى المطلوب فلا يتعقد عليها الاجماع . واما ان يستعمل جملة طويلة للتعبير عن مصطلح علمي واحد . ولى في هذا المجال اقتراح لا اعلم مدى قيمته لاني اجعل الكثير من ملاساته . فثلث كانت اللغة العربية فقيرة في التركيب المزجي فهي غنية جدا في الاوزان . حتى اصبحت من هذه الناحية مدعاة اعجاب كثير من المستشرقين . وعلى فرض ان هذه الاوزان لا تكفي فيما يرجع الى اللغات الشرقية التي يطلق عليها احيانا اسم اللغات السامية . فنل فيها اوزانا ليست في اللغة العربية . ولا يقتصر الامر في نظري على هذا . بل يمكن الاستعانة باللغات السامية من ناحية اخرى . رغم كل ما يقال من ان اللغة العربية اغنى منها جميعا . فكما ان الاوروبيين يرجعون الى